● قَالَ المُصَنِّفُ : (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى – : (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٧]).

📖 الشَّرْحُ :

قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[البينة: ٥] ، هذه الآية تضمنت ثلاثة أمورٍ :

١–الإخلاص ، وهو الشرط الأول لصحة العبادة ، وقد سبق بيان ذلك.

٢–إقامة الصلاة ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

٣–وإيتاء الزكاة ، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

● الصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ : الدُّعَاءُ ؛ قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] ؛ أَيْ : ادْعُ لَهُمْ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيُطْعِمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ** ».(١)

وفي الشَّرْعِ : هي أقوالٌ وأفعالٌ مخصوصةٌ ، مفتتحةٌ بالتكبيرِ ، مختتمةٌ بالتسليمِ (٢).

● الزكاة فِي اللُّغَةِ : مِنْ الزَّكَاءِ وَالنَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا تُثْمِرُ الْمَالَ وَتُنَمِّيه ، يُقَالُ: زَكَا الزَّرْعُ، إِذَا كَثُرَ رَيْعُهُ، وَزَكَّتْ النَّفَقَةُ، إِذَا بُورِكَ فِيهَا (٣).

---

(١) " المغني" لابن قدامة (٢٦٧/١).

(٢) " الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل " (٧٢/١).

(٣) " المغني " لابن قدامة (٤٢٧/٢) .

وفي الشرعِ : حَقٌّ يَجِبُ فِي الْمَالِ [1].

وخصَّ اللهُ (الصلاة والزكاة) بالذكر:

في قوله – تَعَالَى – : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] ؟

والجوابُ : أنَّ هذا من باب عطف الخاص على العام –كما تقَرَّرَ في الأصول– ؛ لبيان الأهمية ؛ أي : لبيان أهميتهما وشرفهما على سائر العبادات ، ومن ذلك قوله – تَعَالَى– : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨] ، ومعلوم أن جبريل وميكال من الرسل – فالرسول يطلق على الرسول البشري ، أو الرسول الملائكي– ، ومع ذلك خصهما الله بالذكرِ ؛ لبيان فضلهما وشرفهما على الملائكة.

فَرُكْنَا الصلاة والزكاة أعظَمُ الأركان بعد الشهادتين:

لأنَّ الصلاة حق اللهِ ، والزكاة حق الفقير ؛ فهما أعظم عبادتين مأمورٍ بهما المسلم بعد النطق بالشهادتين ؛ لذلك أهل السنة والجماعة لم يختلفوا في تكفير أحَدٍ ؛ إلا فيمن ترك ركنًا من الأركان الأربعة – الصلاة والزكاة والصيام والحج – ؛ فالجاحد لها يَكْفُر ، ولا خلاف في ذلك ، ولكن الخلاف فيمن ترك ذلك تكاسلاً ، ولكن في غير الأركان الأربعة لا يكفرون أحدًا إلا بذنب استحلَّهُ ، وبعد إقامة الحجة عليه ، ولكن إذا لم يستحله لا يكفر ؛ فهو مسلِمٌ عاصٍ إذا مات على ذلك ، وأمره إلى الله إن شاء عذبَهُ ، وإن شاء غفر له ، وأدخله الجنة.

● **قَالَ الْمُصَنِّفُ** : **(ودَلِيلُ الصِّيَامِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى – : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]) .**

● **الشَّرْحُ :**

الصِّيَامُ فِي اللُّغَةِ : الصَّوْمُ فِي اللُّغَة : الإمساكُ عَن الشيءِ والتَّرْكُ لَهُ . وَقيل للصائمِ : صَائِمٌ :

---

(١) المصدر السابق.

لإمساكه عَن الْمطعم وَالْمشْرَب والمنكح . وَقيل للصامت : صَائِم ؛ لإمساكه عَن الْكَلَام . وَقيل للفرسِ : صَائِم ، لإمساكه عَن العَلَف مَعَ قِيَامه [1].

وَفِي الشَّرِيعَةِ : عِبَارَةٌ عَنْ إمْسَاكٍ مَخْصُوصٍ، وَهُوَ الْكَفُّ عَنْ قَضَاءِ الشَّهْوَتَيْنِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَشَهْوَةِ الْفَرْجِ مِنْ شَخْصٍ مَخْصُوصٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا طَاهِرًا مِنْ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَفِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، وَهُوَ مَا بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إلَى وَقْتِ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِصِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ عَلَى قَصْدِ التَّقَرُّبِ [2].

وكان الصيام مفروضًا على الأمم السابقة ، وليس علينا فقط ؛ فالله سبحانه وتعالى فرضه عليهم بكيفيَّةٍ لا نعلَمُهَا .

قال – تَعَالَى – : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، ثُمَّ ذكر الحكمة في قولهِ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ؛ فالحكمة من الصيام تحصيل التقوى ؛ لأن العبد إن استطاع جمَحَ نفسَهُ ، ومنَعَهَا من الحلال الذي تشتهيه ؛ فالأَوْلى به أن يمنعها من الحرام الذي تأبَاهُ الفطرة السليمة .

فمثلاً : النوم مباحٌ ، ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى أجرًا كبيرًا لمن قام الليل ، وترك النوم ؛ لأن ترك المباح يصعُب جدًّا على النفس ، عكس الحرام ؛ فالفطرة السليمة ترفضه ؛ لذلك من الصحابة الكرام ؛ كأبي بكر الصديق – وغيره – في الجاهلية لم يفعلوا أشياء من المحرمات ؛ فلم يزنوا ، ولم يشربوا الخمر ، أو يسجُدُوا لصَنَمٍ .

وإذا استساغ العبدُ ارتكابَ الحرامِ ؛ فاعلم أن فطرته منتكسةٌ ؛ فمثلاً : فطرة الرجل أن يسير مع زوجته ، وهي مستترة ؛ حتى لا يستطيعَ رجلٌ أجنبيٌّ النظرَ إليها ، ولكن مع انتكاس الفطرة ، وكثرة المعاصي أصبحت المرأة تمشي مع زوجها وهي شِبْهُ عاريةٍ !! والرجال ينظرون إليها ولا يبالي .

- **وهنا سؤالٌ : هل حكم الصيام تعلليٌّ أم تعبديٌّ ؟**

---

(١) " تهذيب اللغة " (١٨٢/١٢) .

(٢) " المبسوط " للسرخسي (٥٤/٣) .

أي : أننا نطبق على هذه الشعيرة القاعدة الأصولية وهي : (الحكم يدور مع علته وجوبًا وانتفاء) ، بمعنى : أن العلة من الصيام تحصيل التقوى ؛ فهل لو حصَّل شخصٌ التقوى يسقط مِنْ عليه فريضةُ الصيام ؟

●● **والجَوَابُ** : لا ؛ لأن الصيام ركنٌ من أركان الإسلام لا يسقط عن أحَدٍ إلا لعذرٍ مرضٍ ، أو ونحوه ؛ فليس معنى : أن الحكمة من الصيام ؛ تحصيل التقوى ، أن نقول : إنَّ الحكم تعلليٌّ ؛ بل هو حكم تعبديٌّ أظهر لنا الله – تَعَالَى – حكمته من فرضه على المسلمين ، وليس لأحدٍ أن يحتجَّ على تركه بأنَّهُ تقيٌّ ؛ فهذا من الخذلان الذي أوقع الشيطان فيه بعضَ المنتسبين للإسلام من أهل البدع والضلالِ .

فأتقى خلق الله نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك الصيام ، ولا الصحابة الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء ، ولا علمْنا أحدًا من أهل العلم والصلاح ترك الصيام لهذه الحجة الداحضة.

● **قَالَ المُصَنِّفُ : (ودَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ – تَعَالَى– : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٧]) .**

الشَّرْحُ :

الحَجُّ فِي اللُّغَةِ : الْقَصْدُ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ(١).

وَفِي الشَّرْعِ : اسْمٌ لأَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ (٢).

فقولُه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ ؛ أي : أنه فرض على المسلم المستطيع.

وتنازع العلماء في الاستطاعة :

فقال بعضُ أهل العلم : هي المال والصحة فقط .

وقال آخرون : هي المال والصحة ، والمحرمُ للمرأة .

---

(١) الكليات (ص:٤٠٥).

(٢) المغني لابن قدامة (٣/٢١٣).

فمن حقَّقَ الاستطاعة ، وأتى عليه فريضة الحج ، ثم تركه بغير عذْرٍ ؛ فهو على خطرٍ ؛ لأنه ترك ركنًا من أركان الإسلامِ ، ثُمَّ إنه إذا كان تركه تكاسلاً وتهاوناً ؛ فهو ليس خارجًا من الملة ؛ فقولُهُ – تَعَالَى – : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ يكون كفرا مخرجا من الملة إذا كان جحودا أو استحلالا .

● **قَالَ الْمُصَنِّفُ : (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : الإِيمَانُ ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ؛ فَأَعْلاهَا : قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ : شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ) .**

🕮 الشَّرْحُ :

الإيمانُ هو الركن الثاني من أركان الدين ، والركن هو الجانبُ الأَقْوَى[(١)] ؛ قال لوط عليه السَّلامُ : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠].

وعن أبي هريرة ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** »[(٢)] ، وفي روايةِ مُسْلِمٍ : « **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ** »[(٣)].

لما سُئل النبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمَانِ قَالَ : « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** »[(٤)] ؛ فَذَكَرَ أنَّ للإيمان ستةَ أركانٍ ، وهنا في الحديث ذَكَرَ أنَّ الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون ، **والجمع بينهما** : أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ ستَّةَ أركانٍ ، وهي أمهات الأعمال ، وتفرَّع منها هذه الشُّعب بدليْلِ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَسْرُدْ هذه الشُّعَبَ في حديثٍ ، ولكن ذكرها متفرقة في بعض الأحاديث ، وقد اجتهد

---

(١) " الصحاح " (٥/٢١٢٦).

(٢) أخرجه البخاريُّ في " الصحيح " (رقم : ٩).

(٣) أخرجه مسلِمٌ (رقم : ٣٥).

(٤) سبق تخريجه .

بعض أهل العلم ؛ كالبيهقي – وغيره – في جمع هذه الشعب ، ولكن هذا اجتهادٌ فيه تكلُّفٌ – كذا قال بعضُ أهل العلم ؛ كالحافظ ابن حجر وغيره – ؛ فضلاً عن الأحاديث الضعيفة التي استدلوا بها.

والشُّعَبُ منها قلبيَّةٌ ، ومنها عمليَّةٌ ، ومنها قوليَّةٌ :

كقولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »[1] ؛ فالحياء عملٌ قلبيٌّ .

وقولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ : شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ »[2] ؛ فَقَوْلُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " شعبةٌ قوليَّةٌ ، وقوله : " إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ " شعبةٌ عمليةٌ ؛ فدلت الأحاديث على أنَّ الإيْمَانَ يشملُ : القول والعمل.

وعقيدة أهل السنة والجماعة – قاطبةً – أن الإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيد بالطاعةِ ، وينقُصُ بالمعصيةِ ، ويتفاضلُ أهلُهُ فيه – وقد بسطنا الأدلة على ذلك –.

● **قَالَ المُصَنِّفُ : (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ : كما فى الحديث : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " ([3])) .**

📖 الشَّرْحُ :

الإيمانُ بالله يتضمن الإيمان بوجود الله :

في هذه الأوانة الأخيرة أَطَلَّ علينا أُناسٌ ، وهم مجموعة من الملاحدةِ ! يَنْشُرون فِكْرَهُمُ الإلحاديَّ !! وهم قِلَّةٌ ، ولكِنْ كلَّمَا أظهروهم على الفضائياتِ ، وشبكات التواصل الاجتماعيّ اتَّسَعَ الأَمْرُ ، فلابُدَّ من الحذر منهم ، وعدم السماع لهم ؛ حتى لا يُضْرَبَ القلبُ بالشبهاتِ ؛ لقلَّةِ العلم ، وقد

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٩) ، ومسلمٌ (٣٥) .

(٢) أخرجه مسلمٌ (٣٥) .

([3]) أخرجه مسلمٌ (رقم : ٨) عن ابن عمر .

قال – تَعَالَى –: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [المائدة:٤٢] ؛ فلا يحلُّ لمسلمٍ سماعُ مثلِ هذه التُّرَّهَاتِ .

ولا يوجد أحدٌ يجْحَدُ وجُودَ الخَالِقِ إلا مُنْتَكِسَ الفطرةِ :

فالإيمان بوجود الله فطرةُ النقاءِ ، والصَّفاءِ ، ومن المحال أن يحيد عن هذه الفطرة إلا منتكس القلبِ !!

إنَّ فرعونَ عنْدَمَا قَالَ : (أَنَا رَبُّكُم الأعْلَى !!) كان يعلم من داخِلِهِ أنه ليس رَبَّهم الأعلى ، بدليل قوله – تعالى –: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤] ، وقوله حكاية عن موسى عليه السَّلامُ : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ؛ فهو يعلم بوجود الإله بدليل أنه قال عندما كان يغرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠].

وقد دلَّتِ الفطرةُ والعقلُ والشرعُ على وجودِ اللهِ :

● **فأَمَّا الفطرةُ :** فالإقرارُ بوجودِ اللهِ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ دَاخِلَ كُلِّ إِنْسَانٍ ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ** » [(١)].

فالأصل : أنَّ كل مولود يولد على فطرة الإسلام ، وهي التوحيدُ ؛ لقوله – تعالى–: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

ونحن في ظَهْرِ أَبِيْنَا آدمُ عليه السلامُ استَخْرَجَ اللهُ الذِّرِيَّةَ كُلَّهَا من أول آدم إلى أن تَقُومَ الساعة ، وأَشْهَدَهُم أنَّهُ رَبَّهم ؛ فشَهِدُوا بِذَلِكَ ، **ولكِنْ إذا قيل** : كيف أشهدهم أو أنطقهم ؟

أقولُ : اللهُ عَلَى كُلِّ شيء قديرٌ ؛ فهذه التفاصيلُ ، وتلك الكيفيات ليس لنا بها علمٌ ، ولكن الذي يُهِمُّنا أننا كُنَّا في ظهر أبينا آدم ، وأن الله أخرجنا وأنطقنا على أنَّه : لا إله إلا الله .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٣٥٩) ، ومسلمٌ (٢٦٥٨).

وكلُّ كافرٍ ؛ سواءٌ كان بوذيًّا ، أو هندوسيًّا – أو غير ذلك من المِلَلِ والنِّحَلِ– التي تُنكرُ وجُودَ الله ؛ اعْلَم أنَّ كلّ كافرٍ من هؤلاءِ بِدَاخلِهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ (لا إله إلا الله) ؛ لأنها فطرةٌ وُلِدَ بها ؛ حَتَّى لا يأتي أحَدٌ ، ويَقُولُ : وُلِدَ بوذيًّا ، أو هندوسيًّا ؛ فما ذنبُهُ أَنْ يُخَلَّدَ في النَّارِ ؟!! فهذه من الشُّبُهَات التي تُلْقَى على المسلمين ، كيف أنهم يدخُلُون النار ، ويُخَلَّدُون فِيْهَا ، وهم لم يخرجوا من اليابان ، أو الصين ، ولم يعلموا عن الإسلام شيئًا ؟! **أَقُولُ لَهُمْ** ؛ قَالَ – تَعَالَى–: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] ؛ فهؤلاء فُطِرُوا على التوحيد ، ويعلمون بداخلهم أنَّ للكون خالقًا .

● أمَّا مَنْ لم تبلُغْهُ الدَّعْوَة تَمَامًا :

كالذين يعيشون في الغابات في أفريقيا وغيرها ، وليس عندهم أيُّ وسيلةٍ لإبْلاغِهم الدعوة ؛ فهؤلاء يوم القيامة سوف يختبرون – في الرَّاجحِ – ؛ قال – تَعَالَى – : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] ، وكما جاء في الحديثِ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « **أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُدْلُونَ بِحُجَّةٍ : أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، جَاءَ وَالصِّبْيَانُ يَقْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي رَسُولُكَ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعَنَّهُ، فَيُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا** »[(١)]، سيختبرون في عَرَصَات القيامة ؛ فمن نجح دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ؛ فالله سبحانه وتَعَالَى ليس بظلاَّمٍ للعبيدِ .

وتجد الملحد إذا قيل له : اللهُ خَلَقَ كلَّ شيءٍ ، يقولُ : ومَن خلق الله ؟!

فهو بعقله لا يستطيع الوصول إلى نهاية ؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ ،**

---

(١) أخرجه أحمد في " **المسند** " (٤ / ٢٤) ، وهو في " **صحيح** " ابن حبان (١٨٢٧) ، والطبراني في " **معجمه** " (٨٤١) ، وهو وصححه الألباني في " **السلسلة الصحيحة** " (١٤٣٤).

فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ " [1] ؛ فعلَّمْنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقف ؛ لأنَّ عقْلَنَا محدودٌ ؛ فمهما أوتي العبد كل قوى الأرض ما استطاع معرِفَةَ كُنْهِ اللهِ – عزَّ وجلَّ – وكيفيَّةَ صفاتِهِ ؛ لأنَّ عقولَنَا لا تحتملُ .

فمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أراد أن يرى الله ! مَاذَا قَالَ اللهُ لَهُ :

قال – تَعَالَى– : ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] ؛ فبمجرَّدِ أنْ تجلَّى الله للجبل جعله دكًّا ؛ فكيف بالمخلوقِ الضعيفِ ؟! فهذا فوق طاقة البشر ، ولن يتحملُّوه ، وحتى يحقِّقُوا الإيمان بالغيبِ .

ولكننا يوم القيامة سوف نراه ، ولكن نكون على غير الخِلْقَة التي نحن عليها ؛ قال – تَعَالَى –: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون:١٤] ؛ فنحن بهذه الخلقة لا نستطيع رؤية الله ، ولكنه سيجعَلُنَا بِخِلْقَةٍ أُخرى ، سيكونُ طُولُ الرجل ستُّون ذراعًا على خلق آدم ؛ فَسَنُنْشَأُ نشأةً أُخرى ، وسَنُهَيَّأُ لِنَرَى مَلِكَ الملوك – جلَّ جلالهُ – .

أمَّا بِخِلْقَتِنَا هذه ؛ فلا نستطيع رؤيتَهُ ، ولا معرفَةَ كيفيةِ صفاتِهِ ؛ فهو سميعٌ وبصيرٌ ، وينزل إلى سماءِ الدُّنْيَا ، ولكن إذا أردنا أن نعلَمَ الكيفية لا نستطيع ؛ فعقلُنَا يعجز ؛ فإذا كُنَّا لا نستطيع أن نعلم صفة الشمس ، وهي مخلوقة ؛ فالعلماء يقولون : إن ما بين الشمس والأرض ١٤٩,٦ مليون كم أي مئات الأميال، فلو قَرُبت ميلاً واحدًا ؛ لاحترقت الأرض جميعها ، ولو بعُدت ميلاً واحدًا ؛ لتجمَّدَت الأرض كلها ؛ فمَن أوقفها هذه الوقفة الصحيحة من مليارات السنين منذ أن خلق الله السموات والأرض ؟ ولكن مَنْ لم يجعل الله له نورًا ؛ فما له من نور.

فلو طُمس القلب والعقل ، وذكرت له الأدلة ما استجاب ، وهناك أسبابٌ لطمس العقول وطمس الفطرة ؛ ألا وهي البعد عن الكتاب والسنة ، والبعد عن الفطرة التي فُطرت عليها.

● **لذلك شَدَّدَ الله عقوبة تارك الصلاة :**

---

(١) أخرجه مسلمٌ (١٣٤) .

وجعلها الركن الأول في الإسلام ؛ لأن الإنسان ضعيفٌ ، والشيطانُ عدوٌّ متربصٌ به ، وكذلك نفْسُهُ الأمارة بالسوء ؛ فيحتاجُ لحمايةٍ وهدايةٍ ، ولا نجاة له إلا بالاتصال بالله ، ويحدث هذا الاتصال بالصلاة ، وسميت صلاة ؛ لأنها صِلَةٌ بين العبد وربه ؛ فالعبد يحتاج أن يكون في حِمَى مَلِكِ الملوك ، وذلك يحصُل بالصلاة ؛ فلزامًا عليك أن تصلي الخمس صلوات ؛ حتى تكون في حِمَاهُ .

ولكن الذي لا يصلي يأتي له الشيطان ويقول له : مَن خلق الله ؟ فيقول : نعم مَن خلق الله ، ويسترسل معه في مثل هذه الوساوس ؛ فبداية الانحراف : ترك الصلاة ، وترك القرآن ، وإذا تُرك هذان الشيئان لا تسأل عن حال هذا الشخص .

- **وأما العقلُ :** لأن كل مخلوق لابد له من خالقٍ أَوْجَدَهُ ؛ قال – تَعَالَى –: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].
- **قال العلامة السعديُّ :** " وهذا استدلالٌ عليهم ، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق ، أو الخروج عن موجب العقل والدين ، وبيان ذلك : أنهم منكرون لتوحيد الله ، مكذبون لرسوله ، وذلك مستلزمٌ لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرَّرَ في العَقْلِ مع الشرع ، أن الأمر لا يَخْلُو من أحدِ ثَلاثَةِ أُمُورٍ :

- إما أَنَّهم خُلِقوا من غير شيء ؛ أي : لا خالق خلقهم ؛ بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد ، وهذا عين المحالِ .
- أم هم الخَالِقُون لأَنْفُسِهِم ، وهذا – أيضًا – محالٌ ؛ فإنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ أن يوجِدُوا أنفسهم.
- فإذا بَطَلَ هذان الأمرانِ ، وبان استحالتهما ، تعَيَّنَ القسم الثالث : أن الله الذي خلقهم ، وإذا تعين ذلك ، عُلم أن الله – تَعَالَى – هو المعبود – وَحْدَهُ – ، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له – تَعَالَى – " [1].
- **وأما الشَّرْعُ :** فالآياتُ الدالَّةُ على ذلك كثيرة ، نذكر منها :

---

(١) " تيسير الكريم الرحمن " (ص :٨١٦).

✓ قوله – تَعَالَى – : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) ﴾ [الغاشية:١٧-٢٤].

✓ وقوله – تَعَالَى–: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ [الحج:٧٣-٧٤].

✓ وقوله – تَعَالَى–: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور:٤٥].